

جَبْرُ الْخَوَاطِرِ وَمُرَاعَاةُ الْمَشَاعِرِ

الخطبة الأولى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الشَّرَائِعَ وَأَمَرَ بِتَعْظِيمِ
الشَّعَائِرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ لِعِبَادِهِ تَطْيِيبَ الْخَوَاطِرِ
وَمُرَاعَاةَ الْمَشَاعِرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبَشَائِرِ وَالنَّذَائِرِ، صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا إِلَى يَوْمٍ يُنَجِّي الْمُتَّقُونَ مِنَ الْأَهْوَالِ
وَالْمَخَاطِرِ. أَمَّا بَعْدُ: فَأَوْصِيكُمْ ...

يحكي كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ
مِنْ تَخَلُّفِهِ عَنْ غَزْوِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِتَبُوكِ،
فَيَقُولُ: فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهْرَوِلُ
حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلَا أُنْسَاهَا لِطَلْحَةَ" خ.
عبادَ الله: عبادةٌ غائبةٌ، وصفةٌ راشدةٌ،
وسجيةٌ رابحةٌ، من أكرم الخصالِ، وأرقى
الفعَالِ، بها تبتهجُّ القلوبُ وتزولُ معها الكروبُ
وتصفو بحضورها القلوبُ، وهي من الأسبابِ
التي تجلبُ مرضاةَ علامِ الغيوبِ.

إنها عبودية جبر الخواطر ومراعاة المشاعر
ومواساة المنكسر والحائر، فما أجملها من
خُلق، وما أعظمها من سجية؛ ورحم الله
سفيان الثوري حيث قال: "ما رأيت عبادةً أجل
وأعظم من جبر الخواطر".

أيها المؤمنون: خُلق جبر الخواطر ومراعاة
المشاعر، هو خُلق إسلامي عظيم، وأدب
شرعي قويم، ومن أسماء الله تعالى: الجبار،
فهو الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير،

وييسر على المعسر كل عسير. فهو جبار
متصف بكثرة جبره حوائج الخلق.

ولقد اتصف بهذا الخلق رسول البرية ﷺ،
وتبعه عليه صفة البشرية، فبالأقوال امتثلوا
قول الله سبحانه: "وقولوا للناس حسناً" إذ
الكلمة الطيبة وبشاشة الوجه صدقة، فكانت
قلوبهم مطهرة نظيفة، وأسنتهم مسددة
عفيفة، لا يقولون إلا حقاً، ولا ينطقون إلا
صدقاً.

وَبِالْأَفْعَالِ اتَّبِعُوا خَيْرَهَا وَأَبْرَهَا وَأَتْقَاهَا
لِبَارِيهِمْ، فَاتَّبِعُوا وَلَمْ يَبْتَدِعُوا، وَارْتَدَعُوا وَلَمْ
يَتَجَرَّؤُوا عَلَى خَالِقِهِمْ، وَكَانَ كُلُّ يَنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ
اللَّهُ، فَذُو الْمَالِ مِنْ مَالِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ
لَمْ يُعَدِمِ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ يَتَصَدَّقُ بِهَا.

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ

فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وَكَانَ ﷺ لَا يُوَاجِهُ أَهْلَ الْهَفَوَاتِ وَالْأَخْطَاءِ
بِالشَّنَاعَةِ وَالْفَضِيحَةِ، بَلْ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِالسَّتْرِ
وَالنَّصِيحَةِ، مِنْ غَيْرِ تَشْهِيرٍ وَلَا تَعْيِيرٍ،

جِبْرًا لِلخَوَاطِرِ وَمِرَاعَاةً لِلْمَشَاعِرِ «مَا بَالُ أَقْوَامٍ
قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأُصُومُ
وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي
فَلَيْسَ مِنِّي» خ.م

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْرَمَ النَّاسِ خُلُقًا؛
يَقْضِي حَوَائِجَ النَّاسِ وَيَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُمْ، فَيَجْبُرُ
نُفُوسًا كُسِرَتْ، وَيُطَيِّبُ قُلُوبًا فُطِرَتْ، وَيُسَلِّي
فِي مَآسٍ وَقَعَتْ، وَيُعْزِي فِي مَصَائِبَ نَزَلَتْ،

فَعَنْ قُرَّةَ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفْرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَاكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلَقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ فَحَزَنَ عَلَيْهِ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَا لِي لَا أَرَى فُلَانًا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنْيَةُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَاكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلَهُ عَنْ بُنْيَتِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَاكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا فُلَانُ، أَيَّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَنْ تَمْتَعَ بِهِ عُمْرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِيَ غَدًا إِلَى بَابِ مِنْ أَبْوَابِ

الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ»، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهْوٍ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «فَذَاكَ لَكَ» النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يُبَشِّرُ وَلَا يُنْفِرُ، وَيُيسِّرُ وَلَا يُعَسِّرُ، وَيَرْحَمُ الْفَقِيرَ، وَيَجْبُرُ الْكَسِيرَ، فَعَنْ جَابِرِ رضي الله عنه قَالَ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، يُقَالُ لَهُ: زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ، كَانَ يُهْدِي إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْهَدِيَّةَ،

فِيَجْهَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ؛ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنْ زَاهِرًا بَادِينَا، وَنَحْنُ
حَاضِرُوهُ"، قَالَ: فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبِيعُ
مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ -وَالرَّجُلُ لَا يُبْصِرُهُ-
؛ فَقَالَ: أَرْسَلَنِي، مَنْ هَذَا؟، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا
عَرَفَ أَنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يُلْزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟"،
فَقَالَ زَاهِرٌ: تَجِدُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ كَاسِدًا، فَقَالَ
ﷺ: "لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ
غَالٍ". البيهقي.

وَجَاءَ ﷺ بِمُرَاعَاةِ مَشَاعِرِ النَّاسِ حَتَّى الصِّغَارِ
مِنْهُمْ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ،
وَكَانَ لَهُ نُغْرٌ -طَائِرٌ صَغِيرٌ- يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ،
فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَاهُ حَزِينًا، فَقَالَ:
«مَا شَأْنُهُ؟» قَالُوا: مَاتَ نُغْرُهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا
عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» خ.م.
ولقد تجاوزَ هذا الخلقُ في النبي ﷺ إلى اللُّطْفِ
بِالْحَيَوَانَاتِ فَضْلًا عَنِ بَنِي الْإِنْسَانِ،

فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ - تُرْفِرُ بِجَنَاحَيْهَا -، فَجَاءَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوا وِلْدَهَا إِلَيْهَا».

وَرَأَى قَرْيَةَ نَمَلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ» أَبُو دَاوُدَ

عباد الله: الإنسانُ في هذه الحياةِ يتعرضُ لظروفٍ شديدةٍ، فكم من حزينٍ بحاجةٍ إلى من يجبرُ خاطرهُ بكلمةٍ حانيةٍ، تُضمِّدُ جراحاتِ قلبه، وكم من مظلومٍ بأمسِ الحاجةِ إلى من يقفُ معه في مظلمته، ويُخففُ عنه ألمَ الظلمِ والقهرِ الذي يُقطعُ قلبه، وكم من مُبتلى يتمنى أن يجدَ أخًا صادقًا يُصبره في بلائه، ويقويه ويشدُّ أزره ويُذكره بجزاءِ الله العظيم له في بلائه إن صبرَ واحتسبَ الأجرَ،

وكم من مهمومٍ قد أثقلتهُ الهمومُ ينتظرُ صديقاً،
يَفْتَحُ له بابَ الأملِ وَيُبَشِّرُهُ بِقربِ الفرجِ، وكم
من مريضٍ قد هدَّه المرضُ ينتظرُ زائراً يُواسيه
وَيُخَفِّفُ عنه آلامه، ومن فرَجَ عن أخيه كُرْبَةً
فرَجَ اللهُ عنه كُرْبَةً من كُربِ يومِ القيامةِ،
والجزاءُ من جنسِ العملِ.

وفي هذا الزمانِ خاصةً تشتدُّ الحاجةُ إلى
مواساةِ الناسِ والتخفيفِ عنهم وتطبيبِ
خواطرِهِم والوقوفِ معهم؛ لأن أصحابَ القلوبِ
المنكسرةِ كثيرُونَ،

وتطبيبِ خاطرٍ لا يحتاج إلى كثيرِ جُهدٍ ولا
كبيرِ طاقةٍ، فربما يكفي البعضَ كلمةٌ وربما
يحتاجُ الآخرُ لمساعدةٍ، وربما يكفي البعضُ
الآخرُ بابتسامَةٍ .

ألا فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ واسعوا في جبرِ
خواطرِ بعضِكُم بعضاً ، وادعُوا بما كان ﷻ
يدعُوا به بين السجديتين : "اللهم اغفر لي
وارحمني، واجبرني واهدني، وارزقني"
بارك الله ...

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ ... أما بعد: فَيَأْتِيهَا الْمُؤْمِنُونَ:

مُرَاعَاةَ لِلْخَوَاطِرِ مِنْ أَنْ تُكْسَرَ، وَلِلْمَشَاعِرِ أَنْ تُجْرَحَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الشَّرْعُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْيَتِيمِ وَالسَّائِلِ بِمَا لَا يَكْسِرُ قُلُوبَهُمَا، وَلَا يَجْرَحُ مَشَاعِرَهُمَا، "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ".

وَكَذَا شَرَعَ زَكَاةَ الْمَالِ وَصَدَقَةَ الْفِطْرِ تَعَبُّدًا لِلَّهِ، ثُمَّ دَفَعًا لِحَاجَةِ الْمَسَاكِينِ،

وَجَبْرًا لِقُلُوبِ الْمُنْكَسِرِينَ. وَشَرَعَ التَّغْرِيبَةَ لِتَخْفِيفِ آلامِ الْمُصَابِينَ وَجَبْرًا لِلْحَزْنَى وَالْمَكْلُومِينَ.

وَلَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنْ سَبِّ الْأَمْوَاتِ مُرَاعَاةً لِمَشَاعِرِ الْأَحْيَاءِ؛ فَقَالَ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْيَاءَ» أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

ومن جبرِ الخواطرِ مُشَارَكَةَ النَّاسِ فِي أَفْرَاحِهِمْ وَأَثْرَاحِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ لِتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ وَتَطْيِيبِ الْخَوَاطِرِ.

إِنَّ مِنْ جَمِيلِ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمُسْلِمُ أَنْ يَكُونَ
جَابِرًا لِلْخَوَاطِرِ مُرَاعِيًا لِلْمَشَاعِرِ، يَحْرِصُ عَلَى
سَلَامَةِ الْقُلُوبِ وَطَهَارَتِهَا، وَيَصْنُفِي أَجْمَلَ
الْأَقْوَالِ وَيُعْنَى بِعِبَارَتِهَا، لِأَنَّ جَبْرَ خَوَاطِرِ النَّاسِ
يَثْرُكُ أَثْرًا عَمِيقًا فِي نُفُوسِ الْمَجْبُورِينَ قَدْ لَا
يُنْسَوْنَهُ مَا دَامَتِ الدِّمَاءُ تَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ،
وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا مِنْ تَرْسِيخِ الْمَحَبَّةِ وَدَوَامِ
الْمَوَدَّةِ وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ، وَهَكَذَا الْكِرَامُ مِمَّنْ
أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ لَا يَنْسَوْنَ مَنْ أَسَدَى إِلَيْهِمْ مَعْرُوفًا
أَوْ وَاسَاهُمْ فِي بَلِيَّةٍ.

ألا فاتقوا الله عباد الله واجبروا الخواطرَ،
وشاركوا المشاعرَ، واعلموا أنها عبادةٌ لا
ينساها الله القويُّ الجبارُ، وقديماً قالوا: "من
سارَ بينَ النَّاسِ جابراً للخواطرِ أدركه اللهُ في
جوفِ المخاطرِ" ثم صلوا ...